طلال سلمان... القلب الأبيض والورق الأسمر والحبر الأزرق

إعلام وحريات صقر أبو فخر

26 اغسطس 2023

هذا هو طلال سلمان الذي ما فتئ يضجّ بالطيبة والتواضع والكرم (العربي الجديد)

يوم أمس الجمعة، رحل مؤسس وناشر صحيفة السفير اللبنانية طلال سلمان عن 85 عاماً. يعيد "العربي الجديد" نشر مقال يضيء على مفاصل في سيرة سلمان ومواقفه، للكاتب صقر أبو فخر، نُشر قبل أشهر.

طلال سلمان أحد أبرز الصحافيين العرب، ومؤسس صحيفة السفير التي تُعد بحق إحدى ألمع التجارب الصحافية التي عرفها العالم العربي في تاريخه المعاصر. ومن يعرف طلال سلمان يدرك أنه أديبٌ متوارٍ سرقته الصحافة من الأدب في ذروة ازدهارها في أواخر خمسينيات القرن المنصرم. وهو من بين صحافيين عرب قلائل تطلّع، منذ بداياته المهنية، إلى أن تكون الصحافة منبرًا حرًا

صحيفته منبرًا حقيقيًا لقضايا العرب ولقضية فلسطين.

وبهذا المعنى، كانت "السفير" مختبرًا مهمًا للأفكار والآراء، وفي أفيائها وطوال أكثر من 40 سنة اشتعلت مجادلات فكرية وسياسية، ما كانت لتنتهي البتة، وفيها تلاقحت خلاصاتٌ شتى لتجارب فكرية وثقافية عربية ولبنانية، الأمر الذي جعلها، بجدارة، تجربة نادرة في الصحافة العربية، ولا سيما حين تمكّنت من جمع اللبناني إلى الفلسطيني إلى السوري والمصري والعراقي والأردني والتونسي في لوحة واحدة.

> انتهى تألّق الصحافة اللبنانية, وانحسر دورها الريادي بانتهاء تجربة صحيفة السفير, اليسارية العروبية, في 2017, وبانتهاء تجربة صحيفة النهار, الليبرالية اليمينية مع وفاة غسان تويني في 2012

ولد طلال سلمان في بلدة شمسطار البقاعية اللبنانية في سنة 1938 لوالد كان صف ضابط (رتيبًا) في قوى الأمن الداخلي. وكان الأب يتنقل في كثير من المناطق اللبنانية، وترأس مخافر عدة في بلدات متناثرة. وجرّاء تنقل والده بين البلدات اللبنانية المختلفة والمتباعدة، خضع، منذ طفولته، لقانون التنقل بين المساكن والمدارس، فلم يستقر في مكان واحد، أو في مدرسة ثابتة. ولعل هذا التنقل القسري أفاده في جانب مهم، هو اكتشاف المناطق اللبنانية المختلفة، واكتشاف اللبنانيين بانقساماتهم الأهلية وطبائعهم القروية.

بدأ وعيه السياسي يتبرعم في الأجواء التي أعقبت ثورة 23 يوليو (1952) في مصر التي كان لها التأثير الأكبر في جذب انتباهه إلى السياسة. وعلاوة على ذلك، فتح وجوده في مدرسة بلدة المختارة الشوفية في أوائل خمسينيات القرن العشرين، وهي مقرّ زعامة آل جنبلاط في الجبل اللبناني، عينيه على بعض جوانب الواقع اللبناني، فعايش أول "انقلابٍ" سياسي لبناني ضد حكم الرئيس بشارة الخوري في سنة 1952. وفي بلدة المختارة، تعرّف إلى كمال جنبلاط الذي كان مُلهِمًا لجيل كامل من الشبان اللبنانيين التائقين إلى العدالة الاجتماعية، وإلى ربط لبنان بقضايا العرب والعروبة وفلسطين.

وفي هذه الأجواء المتلاطمة، بات طلال سلمان قوميًا عربيًا من دون الانخراط في أيٍّ من الأحزاب القومية، كالبعث مثلاً، مع أنه صار لاحقًا قريبًا، على المستوى الشخصي، من مؤسّسي حركة القوميين العرب أمثال جورج حبش وهاني الهندي علاوة على غسّان كنفاني ومحسن إبراهيم.

شغف بالكلمات منذ طفولته، وسحرته الكتب القليلة في منزل الوالدين وصفحاتها المسكونة بالحكايات والأفكار والمعارف. ومنذ دراسته الثانوية افتتن بالصحافة والكتابة، وراح يكتب بعض المقالات والخواطر في مجلة الأنباء الناطقة بلسان الحزب التقدمي الاشتراكي. وحين أنهى دراسته الثانوية في 1955 منحه والده أربعين ليرة لبنانية (نحو 200 دولار بأسعار اليوم) وقال له: "لقد أتممت تعليمك المدرسي وسكنك، فهذا كل ما أستطيع تزويدك به". وكانت عائلته الصغيرة تتألف من مجموعة من الشبان والصبايا، جميعهم أصغر منه وهم يحتاجون للكثير بعد أن تكفل والده التركي.

هبط إلى بيروت وحيداً إلا من ذلك المبلغ المالي البسيط، ومكث لدى أقارب له في إحدى ضواحي العاصمة، وراح يبحث عن عمل في حقل الصحافة، فعثر سنة 1956 على وظيفة مصحح في صحيفة الشرق اليومية. وفي تلك السنة وقع العدوان الثلاثي على مصر فكانت تلك مرحلة حاسمة في بداياته الصحافية للقضايا العربية الكبرى، مثل الوحدة العربية وفلسطين والجزائر وقضايا العدل الاجتماعي. ولا غرو في ذلك، فهو من بيئة عانت التهميش والفقر والظلم وعدم الرعاية الحكومية. وكان أبناء منطقته يشكون عدم اهتمام السلطات الرسمية بهم وبأحوالهم، الأمر الذي زرع منذ يفاعته حساسية واضحة ضد الظلم الاجتماعي، ووعياً حاسماً في ضرورة النضال لإزالة هذا الظلم.

بدأ العمل من دون أجر في ميدان "التصحيح" مرحلة تجريبية وتدريبية، ثم انتقل بسرعة إلى "الناقص"? الذي كان يلتقط بواسطته الموضوعات والأخبار من صحف الصباح ليعيد تحريرها نموذجاً في صحيفة الشرق. غير أنه لم يستمر في هذا العمل إلا فترة قصيرة جداً، فانتقل إلى صحيفة أخرى، وعمل فيها محرراً لقسم الجرائم والحوادث، فكان يتجول ماشياً على مديرية الشرطة والمحاكم ومراكز الإسعاف والإطفاء ويجمع الأخبار، ثم يعود ماشياً أيضاً إلى مقر عمله ليطبع حصيلته يومه بين يدي سكرتير التحرير. وعلى هذا المنوال كان للتنقل على القدمين أمراً طبيعياً في حياة الشاب طلال سلمان.

في سنة 1958 اندلعت في لبنان انتفاضة شعبية ضد حكم الرئيس كميل شمعون الذي حاول تمديد ولايته ست سنوات إضافية بعدما أجرى انتخابات نيابية زائفة في 1957 أسقط فيها كمال جنبلاط وصائب سلام وعبد الله اليافي وأحمد الأسعد، والاحتجاج على موالاته السياسة الأميركية ومعاداته الرئيس جمال عبد الناصر، ومحاولة إدخال لبنان بحلف بغداد. وكان الصحافي المعروف سليم اللوزي يرأس تحرير مجلة الحوادث المؤيدة لعبد الناصر، وقد اعتقلت السلطة اللبنانية آنذاك سليم اللوزي ثم نُقل، على غرار المعتقلين، إلى مستشفى الكرنتينا. وكان والد طلال سلمان رئيساً لمخفر ذلك المستشفى، وكان ابنه طلال يزوره في مقر عمله مرة في كل يومين، وفي سجن الكرنتينا جرى اللقاء الأول بين هذا الشاب الطامح إلى العمل في الصحافة وذلك الصحافي المعروف الذي تمرس في مهنة الصحافة في فلسطين ومصر، ثم عاد إلى لبنان ليؤسس مجلة أسبوعية قُيِّض لها أن تصبح، في إحدى المراحل، من أوائل المجلات في لبنان وربما في العالم العربي. وهكذا انضم طلال سلمان إلى مجلة الحوادث، وبدأ مسيرته فيها في قسم التصحيح أيضاً، لكنه لم يستمر فيه غير فترة قصيرة، كُلِّف بعدها إعداد "بريد القراء"، ثم تحول إلى كتابة زاوية لافتة بعنوان "لقطة". وقد اكتشف لاحقاً أن عبد الناصر كان يقرأ الزاوية باستمرار.

وفي "الحوادث" وجد نفسه بين مجموعة من الصحافيين المميزين، أمثال سليم اللوزي وشفيق الحوت ومنح الصلح وأسعد حيدر وشفيق طبري ووجيه رضوان، فضلاً عن الرسام نيازي جلول. ولم يلبث أن انتقل إلى قسم التحقيقات بإشراف شفيق الحوت، وتضاعف راتبه بعد عودة سليم اللوزي من دمشق التي كان قد فر إليها في سنة 1958 هرباً من قبضة سلطات كميل شمعون. وبانتهاء العهد الكبير الذي بذله طلال سلمان وشفيق الحوت وآخرون في تطوير المجلة، وفي تلك السنة أصبح سكرتيراً لتحرير "الحوادث" ولم يكن بلغ العشرين، وصار كاتب مقالة سياسية.

خرجوا لاستقبال عبد الناصر في عاصمة الأمويين، واحتفلوا بالوحدة التي جمعت مصر وسورية دولة واحدة اسمها "الجمهورية العربية المتحدة". وقفت سورية إلى جانب الرئيس عبد الناصر تحتل مكاناً بارزاً في غرفة إبراهيم عامر في الطبقة الرابعة من مبنى "المصور".

> **كانت نصرة الثورة الجزائرية شرفاً كبيراً، وليست تهمة يخجل منها صاحبها، لكن اتهامه بتهريب المعدات عسكرية كان عملاً كيدياً واضحاً**

في سنة 1960، وكان قد أصبح صحافياً معروفاً، عرض عليه رياض طه، نقيب الصحافة اللبنانية في ما بعد، أن ينضم إلى مجلة الأحد مديراً لتحريرها، وهو ما حدث. ولم تكن "الأحد" أرقى من "الحوادث" أو أفضل منها، لكنها صارت مجلة مهمة على يدي طلال سلمان. وفي "الأحد" تعرّف إلى رفيق خوري القاص السوري الذي بدأ يحرر زاوية بعنوان "خبز المطابع" عن الكتب المهمة الصادرة حديثاً، والذي صار رئيساً لتحرير صحيفة الأنوار، وأحد أبرز كتّاب الأعمدة في لبنان، وانعقدت بينهما صداقة قوية وزمالة مستديمة.

وقد أطلق طلال سلمان مع رفيق خوري في سنة 1961 مسابقة في القصة القصيرة بالتعاون مع رئيس تحرير مجلة الآداب سهيل إدريس، وانهالت عليهما القصص من العالم العربي كله. وبحسب المعايير النقدية السائدة، فكان جميع الفائزين من سورية، وفازت غادة السمان بالجائزة الأولى، ونال زكريا تامر الثانية، ولم يطل الزمان كثيراً حتى صارت غادة أشهر أديبة عربية، واحتل زكريا تامر مكانة مرموقة جداً بين كتّاب القصة القصيرة العرب.

ومع هذه الانطلاقة المتسارعة في العمل الصحافي والشهرة الصحافية، أبت المؤسسة الأمنية اللبنانية إلا أن تنقض عليه أيضاً، وألا تترك له من متاعب المهنة إلا القليل، فاعتقله جهاز الأمن العام في أغسطس/ آب 1961 بتهمة إقامة صلة مع أحمد الصغير جابر، وهو ممثل جبهة التحرير الجزائرية في لبنان، وتهريب السلاح إلى الثوار الجزائريين، وإعداد اللقاءات عسكرية في بعض الدول العربية.

كانت نصرة الثورة الجزائرية شرفاً كبيراً، وليست تهمة يخجل منها صاحبها، لكن اتهامه بتهريب المعدات العسكرية كان عملاً كيدياً واضحاً. ومع ذلك خرج طلال سلمان من السجن بالبراءة بعد نحو 20 يوماً من التحقيقات المتواصلة والاحتجاز، غير أن ما آلمه في الصميم اكتشافه أنه فقد عمله في مجلة الأحد، وخاب أمله في بعض زملائه الصحافيين، خصوصاً رياض طه الذي لم يساعده في أثناء اعتقاله كما يجب أن يساعده.

[illegible] العرض بشكل دائم [illegible] احتفالات الاستقلال الهاشمية،
[illegible] الجمعية الوطنية التأسيسية في سبتمبر/ أيلول 1962. وفي الجزائر التقى الرئيس
[illegible] المستقلة أحمد بن بلة، ورفاقه محمد خيضر ومحمد بوضياف وحسين آيت أحمد
[illegible] جميلة بوحيرد، ثم انتقل في الشهر نفسه إلى الكويت مصطحباً معه مجموعة من
[illegible] والفنانين اللبنانيين. وفي 25 فبراير/ شباط 1963 صدر العدد الأول من مجلة دنيا
[illegible] بيروت لكنه يحثّه على الإسراع في العودة إلى المدينة التي باتت عاصمة الصحافة
[illegible] كانت تزهر [illegible] الإبداع العربي والثقافي، [illegible] في الساحة نفسها.

[illegible] سلمان فور عودته إلى بيروت دار الصياد التي أسسها السوري – اللبناني سعيد فريحة،
[illegible] 1963 منصب [illegible] التحرير في مجلة الصياد. والطريف أنه في أثناء عمله هنا في 1964،
[illegible] كاتبة جزائرية تدعى زهور ونيسي [illegible] في المجلة. وفي ما بعد علم أن
[illegible] دخل إلى السجن اللبناني [illegible] زهور ونيسي. وقد ربط
[illegible] علاقة وثيقة، مثلما ربطته علاقة فكرية وودية وسياسية وتاريخية بالرئيس بن بلة،
[illegible] في بيروت مرّات عدة. وقد تعرّف إلى الرئيس بن بلة في "الصياد"، وكتبت عنه حين
[illegible]

[illegible] كمال سلمان، [illegible] متاعب المهنة، إلى أن تمكّن [illegible] التزام [illegible] المهنية والقومية [illegible]

[illegible] 1963 و1973، أي خلال عقد، تنقّل كمال سلمان بين مجلات ثلاث، الصياد والأحد
[illegible] له هذه السنين العشر أن يطّلع على خفايا وأسرار وخلفيات كثيرة، وأن يتعرّف إلى
[illegible] ألمع الأدباء والكتّاب والفنانين والسياسيين والمناضلين العرب. وهؤلاء جميعاً كانوا
[illegible] التي رأت النور في 1974، صحيفة السفير.

[illegible] 1956 و1973 امتدّت حقبة الحلم والتعب والأمل. وفي أواخرها، بدأ كمال سلمان يُعِدّ
[illegible] "السفير" صحيفة يومية، مع أن تجربته الصحافية انحصرت في المجلات الأسبوعية.
[illegible]
[illegible] صدر العدد الأول من "السفير" في 26 آذار/ مارس 1974، [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

المتنقلة في لبنان آنذاك، والمتركّزة في بيروت وقلبها التجاري، امتاز الموقف السياسي للسفير بأمرين: رفض الحرب الأهلية كليًا، والوقوف بعيدًا عن القوى السياسية اليمينية التي مارست سياسات غبية أدّت، في ما أدّت اليه، إلى اندلاع الحرب.

غير أن رفض الحرب لم يمنع "السفير" من التعاطف مع برنامج الحركة الوطنية اللبنانية والوقوف إلى جانب المقاومة الفلسطينية. واشتُهرت "السفير" وكتّابها بالموقف الرافض زيارة الرئيس المصري أنور السادات للقدس في 19 نوفمبر/ تشرين الثاني 1977، وعنونت صفحتها الأولى في اليوم الأول للزيارة: "الساقط عند المغتصب".

وبهذه المواقف التي كان طلال سلمان يصوغها ببراعة، صارت كلمة "الجريدة" في سورية ولبنان والمخيمات الفلسطينية تعني "السفير" حُكمًا، فالرجل في دمشق يقول لابنه: اذهب واشترِ لنا الجريدة. والجريدة هنا تعني "السفير" ولا شيء غيرها. والفلسطيني في لبنان يسأل ابنه الشاب: هل جلبت الجريدة معك؟ والمقصود إليه هنا هو "السفير". والجميع يبدأ قراءة "السفير" من الصفحة الأخيرة، حيث يطلّ كاريكاتير ناجي العلي يوميًا على الناس.

> فرضت الحرب اللبنانية التي نشبت في 13 إبريل 1975 على "السفير" أن تولد، منذ اللحظة الأولى، "مقاتلة"

في فجر الأول من نوفمبر 1980، صحا الناس في نزلة السارولا في منطقة الحمراء في رأس بيروت على دوي انفجار كبير هزّ هدوء المدينة. وتبيّن أن هذا الانفجار دمّر المطابع في المبنى الجديد لصحيفة السفير، الذي كانت قد انتقلت إليه للتو. ورحلة "السفير" مع الإرهاب هي نفسها رحلة مؤسّسها طلال سلمان مع المخاطر المباشرة؛ ففي 1981 جرت محاولة لنسف منزله بأربعة صواريخ موقوتة، وقد جرى تعطيلها قبل دقائق من انطلاقها. وأُلقيت عبوات ناسفة قرب مبنى "السفير" في 28 مارس و5 إبريل من سنة 1984. وفي 14 يوليو/ تموز 1984 وقعت محاولة لاغتياله أمام منزله، فأصيب في فكّه وفي بعض أنحاء جسده. وفي 15 يناير/ كانون الثاني 1985 أُطلقت قذيفة مقنبلة على مبنى الصحيفة، ولم يرهب ذلك "السفير" أو مؤسّسها، فظلت وفية لمبادئها القومية والتقدمية.

وفي أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان في سنة 1982 كانت "السفير" الصحيفة اللبنانية الوحيدة التي لم تتوقف عن الصدور، وكانت عناوينها اليومية تُعاد كتابتها على جُدُر بيروت كطريقة من طرائق الصمود في هذه المدينة. واشتُهر من عناوينها آنذاك "بيروت تحترق ولا ترفع الأعلام البيضاء".

وفي هذا الميدان، وقفت "السفير" بقوة ضد انتخاب بشير الجميّل رئيسًا للجمهورية بحماية الدبابات الإسرائيلية، وحاربت اتفاق 17 أيار (1983) الذي كاد شقيقه أمين الجميّل (صار رئيسًا بعد اغتيال بشير الجميّل في 14 سبتمبر/ أيلول 1982) أن يوقّعه لولا اندفاع القوات الفلسطينية وقوات

وقد عطّلت الدوائر اللبنانية "السفير" غير مرّة، ومنعتها من الصدور، وكان آخرها في 12 مايو/ أيار 1993، في عهد الرئيس رفيق الحريري، حين أحيلت على محكمة المطبوعات بعد تعطيلها سبعة أيام متواصلة. ومع ذلك، لم تنقطع "السفير" عن الصدور يومًا واحدًا تحدّيًا للسلطات الغبية والجاهلة، فصدرت باسم مجلة "بيروت المساء" (بحرف صغير) وتحتها عبارة "السفير" بحرف كبير وتحت شعارها المعروف: الحمامة.

انتهى تألّق الصحافة اللبنانية، وانحسر دورها الريادي بانتهاء تجربة صحيفة السفير، اليسارية العروبية، في 2017، وبانتهاء تجربة صحيفة النهار، الليبرالية اليمينية مع وفاة غسان تويني في 2012. ويكفي طلال سلمان في هذا الميدان أن تاريخ الصحافة في لبنان، وتاريخ لبنان الثقافي والسياسي، مدينان له ولصحيفة السفير بصفحات بهية ووضّاءة ومجيدة، وبمواقف جريئة تحصى ولا تُعد.

تلك هي "السفير"، وهذا هو طلال سلمان الذي ما فتئ يضجّ بالطيبة والتواضع والكرم، ويتحرّق ألمًا وحسرة على ما آلت إليه أوضاع العرب، وهو الذي أفنى عمره الأبيض بين الأوراق السُّمر والأحبار السود والأقلام الزرق في سبيل نهضة العرب.

تابع آخر أخبار العربي الجديد عبر Google News

دلالات

طلال سلمان صحيفة السفير

الأكثر مشاهدة

1 ما عدد السفن الأميركية التي تعبر قناة السويس سنوياً وكم تدفع لمصر؟

2 خاص | ترامب أبلغ السيسي بمقترح قناة السويس في مطلع إبريل

3 تبون يتحدث عن عقاب اقتصادي "أرغم إسبانيا على مراجعة موقفها"

المزيد في منوعات

ميتا إيه آي متاح الآن تطبيقاً مستقلاً

الأردن يحظر النشر في قضية "خلية تصنيع الصواريخ"

يوروفيجن: أيسلندا ترفض مشاركة إسرائيل

اشترك الآن في النشرة البريدية ليصلك كل جديد

البريد الإلكتروني

اشترك الآن